

لماذا يجب الحاكم العربي كرسي السلطة؟ (دراسة تحليلية)



gassimsalihy@yahoo.com

أ.د. قاسم حسين صالح - مؤسس ورئيس الجمعية النفسية العراقية

- التحليل العلمي لهذه الظاهرة يتحدد بأربعة عوامل هي:
- تركيبة شخصية الحاكم
 - الدين الاسلامي
 - تاريخ السلطة من عام 61 هجرية
 - وجمهور الخنوع والتملق للحاكم

1. شخصية الحاكم

بدءا نقرر ان لا احد يدخل ميدان السياسة في العالم العربي ما لم تكن لديه ميول عدوانية ، غير ان حدثها تختلف من شخص الى آخر ومن حزب الى آخر، وتحليلنا لعدد من الحكام العرب، أفادنا بأنهم يشتركون بصفات نوجزها بالآتي:

1. البارانونيا. في اليوم الذي يجلس فيه الحاكم العربي على كرسي الحكم، فان البارانونيا تجلس معه، ونعني بها الشك المرضي بالآخر المتمثل بسرعة الاتهام للاخرين بالكذب والتآمر عليه، والخوف من الاستيلاء على الكرسي حتى من اقرب الناس اليه بمن فيهم أخوته. والمشكلة النفسية هنا، ان الحاكم ينشغل فكره باوهام واضطهاد وتآمر عليه تتحول لدى بعضهم الى هذيان نفسي يكون موضوعه كرسي الحكم.

2. متلازمة الغطرسة. يعود اكتشاف هذا الاضطراب النفسي الى وزير خارجية بريطانيا الاسبق (ديفيد أوين) الذي كان طبيبا نفسيا. وتتحدد خلاصة هذا الاضطراب بأن الحاكم اذا جلس على كرسي الحكم فإنه يذوب في السلطة. وتتجسد ملازمة الغطرسة فيما يخص الحاكم العربي بأنه يصبح مهووسا بالسلطة، ويختزل الناس والوطن في شخصه، مثال ذلك صدام حسين الذي رفع شعار (صدام هو العراق). غير ان الغطرسة هي احد الأسباب التي تسقط الحاكم من الكرسي.. مثال ذلك، جاء ضابط رفيع الى الأمير عبد الأله والباشا نوري السعيد يخبرهما بحركة انقلاب عسكري (14 تموز 1958) فلم يكثرثا، وكذلك سخر معمر القذافي من المتظاهرين.. وقتل بيشاعة، وعاند صدام ولم ينسحب من الكويت.. فأعدم. ويبدو ان الغطرسة علّة كل الحكام المستبدين، فحين حذروا الدكتاتور نيقولاي شاونشيكو من التظاهرات، اجابهم ساخرا: لن يحدث تغيير في رومانيا الا اذا تحولت أشجار البلوط الى تين!.. وانتهى به الأمر الى اعدامه.

بدءا نقرر ان لا احد يدخل ميدان السياسة في العالم العربي ما لم تكن لديه ميول عدوانية ، غير ان حدثها تختلف من شخص الى آخر

في اليوم الذي يجلس فيه الحاكم العربي على كرسي الحكم، فان البارانونيا تجلس معه، ونعني بها الشك المرضي بالآخر المتمثل بسرعة الاتهام للاخرين بالكذب والتآمر عليه، والخوف من الاستيلاء على الكرسي حتى من اقرب الناس اليه بمن فيهم أخوته

وتتجسد ملازمة الغطرسة فيما يخص الحاكم العربي بأنه يصبح مهووسا بالسلطة، ويختزل الناس والوطن في شخصه

يبدو ان الغطرسة علّة كل الحكام المستبدين، فحين حذروا الدكتاتور نيقولاي شاونشيكو من التظاهرات، اجابهم ساخرا: لن يحدث تغيير في رومانيا الا

إذا تحولت أشجار البلوط
الى تين!..وانتهى به الأمر
الى العدامة.

الزرجسية الخبيثة: تتألف هذه
الحالة السيكولوجية من مزيج
من الزرجسية المصحوبة
بشعور العظمة، واضطراب
الشخصية المعادية للمجتمع،
وقساوة القلب، والأناية
المطلقة

أرى ان التوظيف السياسي
للدین الاسلامي جعلته يعاني
من اشكالية خطيرة انعكست
على صناعة الحاكم العربي
تتعدد بتعدد مذاهبه

الاشكالية الأولى: فكرية
، معرفية..هي الدوغماتية او
التصلب الفكري او الاعتقاد
الجازم واليقين المطلق
المستند الى مبادئ تقليدية
راسخة دون البحث عن وجه
الحق في التسليم بها

الاشكالية الثانية:
سيكولوجية..هي التعصب
،وتعني نزعة الحاكم نحو
تفضيل جماعته وابعاء مذهبه
على افراد الجماعات التي
تنتمي لمذاهبه
اخرى، ونظرته الى جماعته
على انها مركز كل شيء،
ومرجع كل شيء،

ان الحاكم العربي (أحول
عقل) لأنه يضخم إيجابياته
جماعته ويغض عينيه عن

3. الزرجسية الخبيثة. تتألف هذه الحالة السيكولوجية من مزيج من الزرجسية المصحوبة بشعور العظمة، واضطراب الشخصية المعادية للمجتمع، وقساوة القلب، والأناية المطلقة. ووضح مثالين لها هما معمر القذافي وصادق حسين. ففي تسعينات القرن الماضي كان العراق محاصرا اقتصاديا والشعب في أسوأ حال (اساتذة جامعات عملوا سواق اجرة بسياراتهم الخاصة!) كان صدام يبني قصورا له ،وكاد ان ينجز منتصف التسعينيات بناء اكبر مسجد في العالم يحمل اسمه وسط بحيرة صناعية في منطقة المنصور في بغداد..لولا الحصار.

2. الدين الإسلامي.

بدءا ،أنا احترم الدين ، وأجل علماء الدين الذين يقدسون قيمة الحياة، ويحترمون الرأي الآخر بغض النظر عن: جنس ،هوية ،دين ،مذهب..قائله.وأرى ان التوظيف السياسي للدين الاسلامي جعلته يعاني من اشكالية خطيرة انعكست على صناعة الحاكم العربي تتحدد بتعدد مذاهبه.فهنالك اربعة مذاهب في السنة ومذهبان في الشيعة ،فضلا عن مذهبي الأباضية والظاهرية.
والاشكالية هنا،أن المنتمين لهذه المذاهب من رجال الدين والحكام، باستثناء الذين يعتبرون الدين غاية وليس وسيلة دنيوية ،مصابون بعلتين:

الأولى: فكرية ،معرفية..هي الدوغماتية او التصلب الفكري او الاعتقاد الجازم واليقين المطلق المستند الى مبادئ تقليدية راسخة دون البحث عن وجه الحق في التسليم بها.وتظهر هذه الحالة لدى الحكام الذين يسعون الى فرض آرائهم بالسلطة،او بالنفوذ او بالمال.

والثانية: سيكولوجية..هي التعصب ،وتعني نزعة الحاكم نحو تفضيل جماعته وابعاء مذهبه على افراد الجماعات التي تنتمي لمذاهب اخرى، ونظرته الى جماعته على انها مركز كل شيء ومرجع كل شيء، وان طريقتها في الحياة ونظرتها للدين والحكم..هي الصحيحة.

والمشكلة،أنه نجم عن هاتين العلتين ما كنا اصطلاحنا على تسميته بـ(الحول العقلي).بمعنى ان الحاكم العربي (أحول عقل) لأنه يضخم إيجابيات جماعته ويغض عينيه عن سلبياتها، ويضخم سلبيات الجماعة الأخرى ويغض عينيه عن إيجابياتها..ويخرج ذلك باسم الدين!..بل انه يجد نصوصا فيه تبرر سوء ما يفعل!.

3. تاريخ السلطة .

انتجت السلطات التي توالى الحكم في العالم الأسى لامي (الأموية والعباسية والعثمانية) قائمة طويلة من الحكام الطغاة والقساة والسفهاء والفاستق والذين يشعرون بالدونية، ولم تنتج السلطة في الاسلام حكما قذوة الا بعدد أصابع اليدين،نخص منهم:

* عمر بن الخطاب ،صاحب مقولة: (لو عثرت بغلة في العراق لسألني الله تعالى عنها لما لم تمهد لها الطريق يا عمر؟)، والذي التزم المساواة في الشريعة والعدل بين الرعية.

* علي بن ابي طالب ،صاحب مقولة: (الناس صنفان اما أخ لك في الدين او نظير لك في الخلق) ،والمؤمن على مال المسلمين والذي كان يلبس لباس الفقراء ويأكلاكلهم.

* عمر بن عبد العزيز، المحب للعلم والعلماء الذي اعاد للعلويين حقوقهم والمؤتمن على مال المسلمين ايضا، وولك ان تستشهد بحكاية عمته التي جاءت اليه تطلب زيادة على راتبها من مال المسلمين فوجدته ياكل عدسا ويصلا.

والمفارقة ان عمر وعليًا، قتلًا، ومات عمر بن عبد العزيز بالسم ولم يكمل في الحكم سنتين ونصف.

وحدثنا، لدينا انموذجان من الحكام العرب القدوة، هما سوار الذهب الذي استلم السلطة في السودان عام 1985 اثناء الانتفاضة، وسلم كرسي الحكم بعد سنة واحدة، وعبد الكريم قاسم الذي كان ينام على سرير عادي في وزارة الدفاع وقتل وفي جيبه خرده أقل من دينار.. ما يعني أننا لا نملك الان حاكما عربيا بمواصفات القدوة، فضلا عن ان تاريخ السلطة في الإسلام قام على سيكولوجيا الغالب والمغلوب، ومنح الحاكم الشعور بأنه امتداد للخليفة.

4. جمهور الحاكم.

اثبتت التجارب السيكلوجية (فيليب زباردو بجامعة ستانفورد، بـ"اختبار سجن ستانفورد، و ستانلى ملجرام بجامعة ييل حول "الطاعة ودرجة الانصياع للسلطة") ان الإنسان الذي يتعرض الى ظلم واضطهاد وتعذيب ولا يجد وسيلة للخلاص، فانه يستسلم حتى لو توافرت له فرصة الخلاص.

ويكشف لنا واقع الحال بأننا اذا استثنينا المناضلين من رجال الدين الى الشيوعيين الذين ثاروا ضد الحكام الطغاة، فان الغالبية المطلقة من الشعوب العربية تعودت الخضوع والخنوع والتملق للحاكم، لسببين، الأول.. تبريري، بنخريج ديني (وأطيعوا اولو الأمر..) والحاكم هو ولي الأمر المطلق، والثاني.. الشعور بالعجز المصحوب بالخوف من بطش الحاكم.. ما يعني ان (الشعب) شريك في جعل الحاكم يحب الكرسي، بل انه قام بتأليه كثيرين، ووصف حكاما طغاة بأنه هبة السماء للأرض.

تلك هي العوامل التي أدت الى ان يلتصق الحاكم بكرسي السلطة الى يوم يخصه عزرائيل بالزيارة ليورثها لأبنه قبل النفس الأخير. ولأنه لم يحصل تغيير جوهري في هذه العوامل السيكلوجية-السياسية-الاجتماعية، فانه لن يأتي حاكم عربي يرى في كرسي السلطة انه وسيلة لخدمة الناس وانه تاركة متى طلب الناس منه ذلك، الا باشاعة الوعي الانتخابي الهادف الى اقامة دولة مدنية يكون فيها الدين بعيدا عن السلطة وكرسي الحاكم.

* ملحوظة :تأتي هذه المقالة بدعوة من قناة الحرة في مناظرة مع ثلاثة ضيوف آخرين حول الموضوع ذاته في 14 / 12 / 2017

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Documents/DocQassimArPolitician&Power.pdf>

*** **

تنظم مؤسسة العلوم النفسية العربية

بمناظرة اليوم العالمي للغة العربية



الاسبوع السنوي الرابع: "العربية" والعلوم الانسانية
نحو ترسيخ المصطلح الانساني العربي و تشجيع الابحاث باللغة العربية

سلبياتها، ويضخه سلبيات الجماعة الأخرى ويغمض عينيه عن ايجابياتها.. ويخرج ذلك باسم الدين!.

انتجبت السلطات التي توالتت الحكم في العالم الإسلامي (الأُموية والعباسية والعثمانية) قائمة طويلة من الحكام الطغاة والقساة والسفهاء والفاسقين والذين يشعرون بالدونية

المفارقة ان عمر وعليًا.. قتلًا، ومات عمر بن عبد العزيز بالسم ولم يكمل في الحكم سنتين ونصف

أننا لا نملك الان حاكما عربيا بمواصفات القدوة، فضلا عن ان تاريخ السلطة في الإسلام قام على سيكولوجيا الغالب والمغلوب، ومنح الحاكم الشعور بأنه امتداد للخليفة

الغالبية المطلقة من الشعوب العربية تعودت الخضوع والخنوع والتملق للحاكم